



لم يكن إعلان هيئة أركان الجيش الروسي أن موسكو ستسلم قريباً منظومات دفاع جوي جديدة إلى سوريا رداً على الضربة الأمريكية البريطانية الفرنسية على موقع تابعة للنظام السوري في 14 إبريل/ نيسان الجاري، فليس للضربة قيمة من الناحية العسكرية، ولا تتطلب من صناع القرار في الكرملين الانقلاب على التفاهمات القديمة مع الغرب حيال مستوى التسليح الروسي للنظام. على العكس، لم يأت الأذى العسكري من البوابة الأمريكية، بقدر ما جاء من البوابة الإسرائيلية التي استطاعت في السنوات الماضية إلحاق ضرر بالغ في البنية العسكرية للنظام، وكان أعنفها هجوم فبراير/ شباط الماضي، حين ضربت 12 هدفاً عسكرياً، ودمرت نحو ربع منصات الصواريخ.

إعلان الروس عزمهم تزويد النظام منظومات دفاع جوي متقدمة مؤشر على دخول الصراع مرحلة متقدمة، لا يُستبعد فيها حصول معارك مباشرة بين المتصارعين الإقليميين، بعدما كانت المعارك بالوكالة.

وبالنسبة لإسرائيل، هناك فرق كبير بين وجود هذه المنظومة على الأرضي السوري تحت إمرة الجيش الروسي وخصوصها لأوامر دمشق مباشرة. ومع أنه غير معلوم ما هي طبيعة منظومة الدفاع الجوي، إلا أن ثمة أسئلة تطرح حول جدية موسكو فعلاً في تزويد النظام السوري بها، وربما تكون المسألة مجرد تهويش عسكري.

في كل الأحوال، يمكن مأزق المحور الروسي في أنه غير قادر على إيقاف الضربات الأمريكية - الإسرائيلية، ولا هو قادر على القيام بالمثل. بعبارة أخرى، تستطيع الولايات المتحدة وإسرائيل ضرب حلفاء الروس متى أرادتا، في حين لا تستطيع روسيا وحلفاؤها فعل ذلك. هنا المعادلة الصعبة لموسكو. ولذلك استغل الروس الضربة الثلاثية، ليعلنوا تخلיהם عن التزاماتهم السابقة مع الولايات المتحدة، لجهة تسليح النظام، وكانوا يحتاجون مثل هذه الضربة، لتبرير هذا التصرف. والإشكالية الروسية الآن في كيفية مواجهة إسرائيل، لا الولايات المتحدة، ولم تكن مصادفة كشف روسيا أن إسرائيل هي التي نفذت

الهجوم على قاعدة تيفور قرب تدمر في التاسع من إبريل/ نيسان الجاري الذي تم فيه ضرب الوجود الإيراني مباشرة. وإذا كان هذا الكشف قد وضع طهران في موقف حرج، إلا أنه كان نوعاً من إطلاق يد إيران أو شرعنـة ردها مستقبلاً على أي هجوم إسرائيلي. إنها رسائل روسية إلى إسرائيل والولايات المتحدة مفادها أن موسكو لديها أوراق كثيرة للعب فيها، وهي قادرة على فعل المزيد.

تافق التصعيد الروسي مع تصريحاتٍ لا تخلو من دلائل سياسية، حين أعلن نائب وزير الخارجية الروسي، سيرغي رياشكوف، أن موسكو لا تعلم كيف سيتطور الوضع في سوريا، فيما يتعلـق بالحفاظ على وحدة أراضيها، وما صاحبها من تصريحاتٍ أخرى بشأن إمكانية تقسيم سوريا. وإذا كانت هذه التصريحات توحـي، في مضمونها، أن روسيا لم تعد قادرة على الإمساك بزمام الأمور في سوريا، إلا أنها تبعث رسائل تهـديدية مضمـرة أيضاً، مفادها أن موسكو قادرة على عرقلـة الجهود الأميركيـة.

بدأت أولى مؤشرات العرقلـة مع فشـل خلـوة مندوبي الدول الأعضـاء في مجلس الأمـن في السـويد، ورفض الروس الانجرـار وراء المطالب الغـربـية بإحياء المسـار السياسي، إنـها فـرصة ثـمينـة لـروسـيا لـتـرد الصـاع إـلى الـولاـيات المـتحـدة، فـكـما منعـت الإـدارـة الأمـيرـكـية قـادـةـ الكرـمـلـينـ منـ استـثـمـارـ نـجـاحـاتـهـمـ العـسـكـرـيـةـ عـلـىـ الصـعـيدـ السـيـاسـيـ بـإـفـالـلـهـاـ مؤـتـمـرـ سـوـتـشـيـ،ـ تـقـومـ مـوـسـكـوـ الـيـوـمـ بـمـنـعـ وـاـشـنـطـنـ مـنـ اـسـتـثـمـارـ الضـرـبـةـ العـسـكـرـيـةـ الـثـلـاثـيـ عـلـىـ الـمـسـتـوـيـ السـيـاسـيـ.ـ وـثـانـيـ مـؤـشـرـاتـ العـرـقـلـةـ جاءـتـ مـعـ رـفـضـ رـوـسـيـاـ تـمـرـيـرـ مـشـرـوـعـ الـقـرـارـ الدـوـلـيـ الـثـلـاثـيـ فـيـ مـجـلـسـ الـأـمـنـ،ـ عـلـىـ الرـغـمـ مـنـ إـجـراءـ تـعـدـيلـاتـ مـهـمـةـ فـيـ مـنـطـوـقـ مـشـرـوـعـ الـقـرـارـ بـمـاـ يـلـيـ الـمـطـالـبـ الـرـوـسـيـةـ.

أمام هذا الوضع، تبدو الأمـورـ مـتجـهـةـ إـلـىـ نوعـ مـنـ التـنـافـسـ الـحـادـ دـاـخـلـ الـجـفـرـافـيـاـ السـوـرـيـةـ،ـ وـقـدـ بـدـأـتـ بـالـفـعـلـ عـمـلـيـاتـ الـاـصـطـفـافـ الـإـقـلـيمـيـ -ـ الـدـوـلـيـ تـأـخـذـ مـدـاـهـاـ:ـ وـاـشـنـطـنـ تـعـزـزـ أـوـاصـرـ تـعـاـونـهـاـ الـإـقـلـيمـيـ وـالـدـوـلـيـ،ـ وـتـفـتـحـ الـبـوـاـيـةـ السـوـرـيـةـ عـلـىـ مـصـرـاعـيـهاـ لـدـخـولـ الـحـلـفـاءـ،ـ فـيـ وـقـتـ تـعـمـلـ مـوـسـكـوـ عـلـىـ تـبـيـتـ حـلـفـهـ الـثـلـاثـيـ وـتـطـوـيرـهـ،ـ لـيـصـبـحـ رـيـاعـيـاـ،ـ وـرـبـماـ خـمـاسـيـاـ،ـ بـضـمـ الـعـرـاقـ وـمـصـرـ إـلـيـهـ.ـ وـيـشـكـلـ الـاجـتمـاعـ الـثـلـاثـيـ فـيـ 28ـ إـبـرـيلـ/ـ نـيـسـانـ الـجـارـيـ لـوزـراءـ خـارـجـيـةـ رـوـسـيـاـ وـتـرـكـيـاـ وـإـرـانـ مـحاـوـلـةـ لـتـبـيـتـ أـوـاصـرـ الـحـلـفـ،ـ وـتـفـعـيلـ خـطـوـاتـ عـلـىـ الـأـرـضـ،ـ تـتـجـاـوـزـ مـسـارـ أـسـتـانـةـ الـذـيـ فـقـدـ مـقـومـاتـ بـقـائـهـ.

ليس هـدـفـ كـلـ هـذـهـ مـعـطـيـاتـ تـرـتـيـبـ الـمـكـانـ وـالـزـمـانـ لـلـمـواـجـهـةـ الـكـبـرـىـ،ـ فـهـذـهـ لـنـ تـحـدـثـ فـيـ سـوـرـيـةـ وـفـقـ الـمـعـطـيـاتـ الـقـائـمـةـ،ـ فـمـاـ تـرـيـدـهـ رـوـسـيـاـ هـوـ تـصـحـيـحـ مـنـظـوـمـةـ الـعـلـاقـاتـ الـدـوـلـيـةـ،ـ خـصـوصـاـ الـمـتـعـلـقـةـ بـالـوـلـاـيـاتـ الـمـتـحـدـةـ،ـ وـالـاعـتـرـافـ لـلـرـوـسـ بـمـكـانـهـمـ وـدـوـرـهـمـ فـيـ السـاحـةـ الـدـوـلـيـةـ،ـ فـيـمـاـ تـعـمـلـ الـوـلـاـيـاتـ الـمـتـحـدـةـ عـلـىـ تـرـتـيـبـ الـجـفـرـافـيـاـ الـعـسـكـرـيـةـ وـالـسـيـاسـيـةـ فـيـ سـوـرـيـةـ،ـ بـمـاـ يـمـنـعـ الـمـحـورـ الـرـوـسـيـ مـنـ الـاسـتـحـواـزـ عـلـىـ هـذـاـ الـبـلـدـ بـشـكـلـ كـامـلـ،ـ مـعـ ضـمـانـ حـصـصـهـمـ الـاسـتـرـاتـيـجـيـةـ فـيـهـ.

تـذـكـرـ الـتـطـورـاتـ الـعـسـكـرـيـةـ مـنـ بـدـاـيـةـ الـعـامـ الـجـارـيـ (2018)ـ بـأـحـدـاثـ مـطـلـعـ عـامـ 2014ـ،ـ حـينـ تـمـ إـغـلـاقـ الـمـلـفـ السـيـاسـيـ نـحـوـ عـامـينـ،ـ قـبـلـ أـنـ يـفـتـحـ مـنـ جـدـيدـ مـطـلـعـ عـامـ 2016ـ.ـ وـبـيـنـ هـذـيـنـ التـارـيـخـيـنـ،ـ حـدـثـتـ تـطـورـاتـ عـسـكـرـيـةـ كـبـيرـةـ،ـ سـاـهـمـتـ لـاحـقاـ فـيـ تـشـكـيلـ الـبـنـيـةـ السـيـاسـيـةـ،ـ الـقـانـونـيـةـ لـقـرـارـ مـجـلـسـ الـأـمـنـ.

المصادر:

العربي الجديد